

## مذكرات شاعر جوال

### ديوان شعر لحسين راجي

ديوان شعر كامل ، ولكنه قصيدة واحدة لا غير .. تلك مذكرات شاعر جوال ، ورب قوافيها انسان رحالة عن حق ، مادة ومعنى .

انحدر أبأؤه من جبال القفقاس ابان احدى الحروب العثمانية الروسية ليستقروا في ديار الشام حيث رأى الشاعر النور ، حتى اذا كان له وجود فكري أسلمته الايام للقرى تتداوله فيما بينها معلما ابتداءيا في الريف السوري ، ليعود في كل صيف الى حلب ، مدينة سيف الدولة وشعر النبي .

ثم - ونتيجة لظروف خاصة - حملته الموجة الى ربوع أوربية الشرفية حيث درس اللغات السلافية ، وأجيز بها ، وكان لا ينفك يتنقل في عواصمها يدرس ويكتب وترجم ، واكثر من ذلك يحصل ويحلم :

(( هو ذا أنت

أحذية من لون الارض

وفميص أزرق

نصف في التربة

نصف آخر فوق القيم

بذرع أرسفة القريه

.. روحك تجتاز الالوان

تمنص الالوان

تخزن الالوان

وتكتب شعرا للالوان ! ))

وبانتهاء تلك المرحلة ، كانت له جولة في الشمال الافريقي ، وبخاصة الجزائر ، ليستقر قليلا بالربوع اللبنانية ، وليلقى بعدها نصا الترحال في دمشق مدبرا للبرامج الاجنبية في الاذاعة السورية ، يكتب المقال ، وينظم القصيدة ، ويحبر القصة ، ويرسم الكاريكاتور.. يصدر في كل ذلك عن تجربة صادقة ، ومعاناة حياتية واعية . ومن دمشق ، دفع بمخطوطة قصيدته - الديوان السى الاستاذ محمود أمين العالم في القاهرة ، حيث صدرت تلك الاضمومة الشعرية بكلمة عاطرة ختمها بقوله :

(( ولست أعرف للشاعر حسين راجي شعرا قبل هذه القصيدة ، ولكن أستشعر فيها بداية رحلة كشف بالغة الخصوبة في حياة شاعرنا ، في حياة شعرنا )) .

وبالطبع ، ليس هذا التمهيد ضربا من الشهادة يقولها صديق حميم لصديق أمير .. والشهادة الكبرى للشاعر كلمته .. فافيته .. مرآة نفسه ، وترجمان خطرات ذاته ، في أسمى حالاته الفكرية ، وأغنى معاني وجوده الانساني .

واذن ، لا بد لنا من جولة مع هذا الشاعر الرحالة ، عبر ذلك المغاض الفكري الذي تمزق فيه (( أنا )) الشاعر شرنقة الانانية الذاتية ، فراشه مهومة مدومة عبر المدى الارحب ، والافق الاشمل ، مؤكدة وجودها بطاقة زخارة بالحياة ، وديناميكية متفجرة ، منداحة بالشاعر عبر رحلة بناء ذاتية وجودية تكشف خلال الحركة الصاعدة ، فسى

صلب معاناة الانسان الجماعية ، دراسسة لقضاياها ومشاكله وطموحه ...

وأول ما يستعري انتباه القارئ الناقد ذلك التأكيد على هوية الشاعر ، في اطار تلك التجربة التي اعتمدت الرمز والشفائية الشعرية ، وبانه يحمل هوم فضية ، بعيدا عن العبسية والانزامية والتفوق ، والتمزقات الداخلية ...

وبان كلمته تتفاعل بتفهم واع مع حركة الولادة الجديدة لحركتنا الفكرية المتعمقة بقضايا الانسان المعاصر ، تأكيدا على ثقته بالمستقبل ، خلال نضاله لتفي واقع الجمود ، وما يعترى ذلك الواقع من مخلفات غيبية سائدة ، ووثنية جديدة يعيشها انساننا العربي ، في اطرار العالم الثالث (( نحت سماء الشرق البلهاء )) .

وهكذا ... ولكل رحلة منطلق ، فلنبدا حيث بدأ الشاعر قصيدته الجوالية ، مكانا وزمانا ... نتلمس محاولاته الذكية ، يتمخض الكلمة التي تسم عصره ... بتنازعه عالم الجمود والانطلاق ، والجهر المدوي العاصف ، وهمس الجرس الواجف ، بجناح يتعشق الافاق العلوية ، وأرجل تحجل في الاصفاذ الارضية ، في حكاية نذكرنا بحياة بصير المرءة وحكيم العرب عندما جسد مخنة الفكر الحر التي ما تزال تتكرر وتكرر منداحة في المكان متغلغلة في الزمان ، اذ أملى على أمين سره :

اذا قلت المحال اطلت جهري

وان قلت الحقيقة طال همسي

ومع ذلك ، يأبى شاعرنا الا ان تكون كلمته ترجمة صادقة لخطراته الشعرية ، ومعاناته الفكرية ، ويأبى عليه الطموح الا ان تكون ريشته راسم نبضات قلبه في تلك التجربة العسيرة :

(( أن يلهث خلف المطلاع كالطفل المنعب

ان يختار الصور الاكثر جدّه

والاكثر حدّه

كي يلمح عالمنا وجهه

أن يبدع شعرا يشبه نبض القلب .. ))

ولنتابع الشاعر بتجربته التي ارتبطت باووجة الحديثة التسي خرجت بشعرنا العربي عن محور الغنائية الذاتية ، منطلقة به السى رحاب قضايا الانسان الوجودية ، وتجارب الحياة الكلية ، عبر تلك الوحدة الجدلية بين الذات والموضوع ، وجاء الرمز ليكشف تلك التجربة عبر الرؤى الشعرية ، التي تربط الانسان بأبعاده الجماعية ، لصوقا بالوجود الاجتماعي والسياسي ، من واقعا الراهن .. نعم لنتابع الشاعر في معاناته تلك لخلق القصيدة التي يريد ، والتسي كلما آنس منها قربا ازدادت بعدا ، واعيا الواقع بريشة الفنان ، لا لشيء الا لترفع الفنان عن النقل الفوتوغرافي ، تجاوبا وطاقة الابداع التي تعتمل في أعماقه :

(( هي ذي علبة تجميع في صدرك

انعتها كيف تشاء

- القلب !؟

هذا اسم حسن

ألق الصورة في هذي العلبة

أنصت

هذي الدقات

تعني انك أكثر تعقيدا

مما قد تتصور ))

وبعاود بعناد تلك التجربة الصعبة ، بممارسة واعية يحاول فيها ان يوظف الكون بالوجود الانساني ، لكن الذي استطاعه فقط هو

الاعتراف بفرار اللون - اصعب ما يعانیه الفنان بحياته :

« في هذي الليلة يعجبني

أن أكتب شعرا شفافا

شعرا كالماء

في امكاني مثلا

أن أكتب عن هرب اللون ... »

هل تذكر بيتك في الريف

هو من طين يا سيد

أو من زنبق

وبلا جذران بيتك مثل الكف

تحت سماء الشرق البلهاء

ولدتك ظروف يومية

كنت السادس بعد الالف

هل تستغرب هذا الرقم الصدفه

احفظ رقمك »

وليس بدعا .. « فهرب اللون » هو السمة العامة التي اتسم بها نتاج الكثير من حملة الاقلام الذين تعصف في صدورهم رياح الحرية في اطر نظم العبودية .. فماشوا التمزق والانشطار الداخلي ، في دراما عالية .. فهم ليسوا براصين عن واقعهم ، كما ليسوا بقادرين على تصوير هذا الواقع صراحة ، حتى لكان حافظ ابراهيم يترجم عن دخائل نفوسهم بهذا التعبير الرائع بواقعيته :

إذا نظقت ففانق السجن متكا وانسكت فان النفس لم تطب  
ولذا كان للنفق الاجتماعي والسياسي مدرسته الخاصة، وكان له من حملة الاقلام سباقوه الذين ظلوا - حتى في ارقى سموهم الذاتي - ادنى من حالة المتنبي بتجربته مع كافور عندما قال فيه ، وبداهة ما بينه وبين نفسه ، أو عندما أفلتت من قبضته :

أريك الرضا لو اخفت النفس خافيا

وما أنا عن نفسي ولا عنك راضيا

ومع ذلك يرصد الشاعر حالة أستاذ كبير في جامعة شرقية ، عاش مأساة هذا الشرق الكبير ما عاش ، لكنه قال مع النفس الأخير :

« علمنا الثالث ... يا اخوان

جوعان من فوق

جوعان من ... »

وانظرت صفحة حياة الاستاذ ... وشخص الشاعر من ذاته معاورا يستوضحه اسباب موت الاستاذ ، وظروف تلك الميتة ... الا انه دفع ذاته بذاته لعدم اللجاج ، خوف الا يكون الجواب مرضيا ... او حذر نكده الجرح القديم .. الحديث :

« قد تستغرب سبب الموت

لا داعي أن تستفسر

يكفي أن تعلم انك مكبوت

حتى الرمق السابع

أرملة أمك في ليل محاق

جائعة أيضا

حتى الرمق السابع

لكنك تكره كل الأرقام

تحفظ كل الأرقام

الأرقامك .. »

وتجاه كلمة « الرقم » هذه القاسية الصلدة صلادة فولاذ القيود المادية والمعنوية ، والتي يشحنها الرمز بأكثر من معنى ، والتي قد يكون من ترجمتها السجن الصغير فيجب فيه الحر ولا يبقى سوى رقم ينادي به ، أو الضياع في السجن الأكبر - المجتمع ، في حالة يعرّم عليه فيها القول والكتابة والرسم ، ومداخلته الناس ، منبوذاً ، فرداً في مجتمع ليس منه ، غريباً في دياره ، أجنبياً في وطنه ، مجرداً من قيمه الروحية ، وباختصار مجرد رقم منسي في ركاب بشري ، مفروض عليه ان فكر ان يجتر صور الماضي ويجتر ... يدرج في ارض ان كانت ثرة المعطاء ماديا ، فقيرة حضاريا ومستوى عقلياً :

« تاريخك قيم يداج عبر الافلاك

وفي ظل هذا الرقم ، يجيل الشاعر طرفه بواقعه المشسود بقوة الى الماضي ، في فطرة لم ترغب بشيء رغبتها بحجب الحقيقة عن النفوس الطيبة غير التسلمحة بالوعي ... وتتراقص حول باصرتيه صور المآسي حيث القريسة « فقر أخضر » ، و « تراب أحمر » ... والآنكى صورة زبانية الجمود وسدنه الذين ...

« صبوا اسمتنا ملعونا

في عين الشمس

رسموا الاشكال محددة

نصبوا في الراس

أوتانا حول مذابحها ..

في امكاني الليلة

أن أكتب هذا الشعر الهمس »

وبشحنة هذا الهمس الصارخ جلس الشاعر الى أنيسة روحه تشخيصاً ، يساقها الخمرة وتساقيه ، لكن لا يفرق في الكاسهومه وأحزانه ، أو ليفيق عن واقعه ، وإنما ليشعر الابواب المغلقة على الحجرات المظلمة ، وليخاطب ذلك الجرس الخفي عبر الاذن المصيخة التي كم ذابت في لفتح أنفاسها من نفوس :

« يا صمتنا يربض خلف الابواب الموصودة ... »

وكثرت الكؤوس التي ليس من معانيها التوهم ، والتي احتوت تلك الخمرة التي سلسلت على شفتي ابن الفارض أجمل أناشييده الروحية .. وإنما اختلف هنا الرمز .. فخمرة الشائز القديم كانت تدفعه نحو الا الأعلى والفناء في روح الكلي القدرة .. على حين أن تلك الخمرة - الرمز تشدّ شاربها الى الام العظمى - الأرض .. الوطن .. المجتمع .. تتشعشع في الكأس وتتشعشع ، لتتسلسل نشوتها على شفتي الشاعر نبضات حية حيوية :

« صور تحيا

أخرى تغنى

وشهوس تجزغ في نفسي

لا .. لم أسكر .. هذي كاسي »

ويفري الشاعر أنيسة الروح بالمزيد .. المزيد من تلك الخمرة ، في حالة روحية هي النقيض المطلق لحالة أبي نواس ، ذلك الشيطان اللذ القائل :

ولما شربناها ودبّ ديبها الى موطن الاسرار قلت لها قفي

لان ما قصد من تلك الجلسة الى أنيسة روحه ، فك نقال اللسان،

وتطهير الجنان :

« كي يلح علمنا وجهه

أن يبدع شعرا يشبه نبض القلب »

ولهذا فهو أبدا يطلب المزيد ، تكشيفا لأكسير المعرفة :

« صبي شقفا

صبي سعرا

صبي الكون

وعملا ، واعتماد قاعدة التفسير صادقين في البناءين الفوقي والتحتي  
معا ، في قاعدة المجتمع الاقتصادية والمؤسسات الفكرية :

« يا سيد  
عالمنا الثالث  
ان لم يعتمد العقل  
في المعهد .. في المصنع .. في الحقل  
يبقى الجائع من فوق  
يبقى الجائع من ...  
« افهم »

ذا ايمان الشاعر ، وذلك ما رصد له احساسه ومداركة ، ولكن  
واحرياه .. ما زلنا خلف الباب المرصود ... مما ترجمته الشعرية :  
« ما زلت المدلج في الربع الخالي  
في صحراء النفس !.. »

ولكن .. هل خدرت انامل الشاعر على أوتاره ..؟ هل اختنق  
صوته في حلقه ..؟ هل جفَّ نبض احاسيسه .. أم أسلم نفسه  
للياس والقنوط ؟ كلا .. فهو ما زال على الخط .. وزاد في طاقته  
همس أنيسة الروح التي تساقيه كؤوسه .. والتي هي في الحقيقة  
نفس الشاعر الذي يعرف ما يمكن أن تجره الكلمة على فائلها من  
جريدة .. نقلا من واحة الهناء الى برزخ الشقاء ، ومن جنة الحياة  
الى جحيم العدم ، ومع ذلك فقد جلجل الصوت بالكلمة التي يجب  
أن تقال :

« قالت همسا  
هذا شعر رفض الموت  
أرسله يصفع وجه الموت  
يقفا عين الموت  
يحطم جمجمة الموت  
أرسله ...  
فجر هذا الصوت  
أطلقه مثل الثعبان  
في صدر الانسان  
أرسله شواظا من نار ..  
يجتث الاخضر واليابس  
لا .. لا تخش الليل الدامس  
.. لن تفقد اكثر مما في قلبك  
من نبضات  
لن تخسر أجمل مما في أعصابك  
من زهرات  
لن تعدم اكثر مما تكتنم  
من كلمات  
جرب ... أطلق هذا الصوت !»

وزاد في جهازة صوت الشاعر انه تظهر من أوضاع الجبين  
والتردد ، والغزوغ والهلع ، غوصا في أعماق نهر الطهر ، في عملية  
استرجاع الذات ، حتى آل الى الحالة التي استنطاق فيها القول :

« في امكاني ..  
أن المس جدران الكون  
أن أغرق في المائج  
حتى القمر  
كي أحيأ ومضات  
في قاعات الطهر ! »

يفرني اللون  
صبي النداء مصنفة ..  
كل النداء  
ما معنى أن يقرع سمعي  
وقع النداء؟!  
أن ابني جسرا من ألقي  
عبر الانواء ؟  
أن يحرق ظلي وجه الماء  
أنى .. أنى .. لم أسكر  
يفرني اللون !..! »

وفي طيف ذلك اللون ، وفسي ظل تلك الكأس ، كان للقافية  
رحلتها التي استكثنت أغوار الذات وأعماق الوجود معا .. امعانا  
بالشطوح تاريخيا حتى عاشت هاتيك « الايام الموهودة » ولتقف بعدها  
ولتروسو في « موانئ مفرودة » .. ثم ليتجه الى شعراء الحلم ، من  
حملة أقلام وسياسيين يبصرهم بالدرج ، وبالاداة التي تشسق ذلك  
الدرج :

« أن نصد فوق الاشياء  
أن نرقى الاقدار  
يلزما مجداف مرهف  
فد لا يكفي أن ناكل أو نشرب  
قد نفرق  
نطفو  
نتعب » ..

وبكلمة .. لا يكفي الانسان ان يعمل في جوانحه طموح التغيير ،  
وانما عليه النضال والكفاح لتحقيق ذلك الطموح ، وتلك الرغبة ..  
أن يحارب الجحود والتخلف ، أن يتصدى لصر الاصفاذ وتحطيم  
الآوتان ، أن يخرج من أسر الازدواجية ما بين القول والعمل ،  
والنظرية والممارسة ... فالكلمة وحدها كسيحة تحت سماء شرقنا  
البلهائ ما لم تمزق من أطر الفردية لتتسلق في وعي المجتمع عامل  
محرك تاريخي ... وباختصار لا يكفي ان :

« تعلم ان حدائق عمارك بقع من دم »

او :

« قمر المشاق الاخضر  
ياخذ في وهم الجائع  
شكل رغيث »

وعلى ذلك ، وبكلمة ناعمة مهذبة ، لكنها تحمسل وخز الابر ،  
سلط أنواره الكاشفة على ذلك الواهم الذي تماثل حاله حال الدالج  
في الليل السائر في نومه ، ومع ذلك يحلم باجتراح المعجزة ، ويطمح  
لا لتفسير العالم فحسب وانما لتغييره ، والذي قد وفته القافية  
حقه :

« قد يحرق بحرا  
قد يقنني كتبا جنسية  
قد يمشق زوجة خاله  
قد .. قد ..  
اما أن يقلب بطن التربة  
فالكذبة أكبر .. من حبة بطيخ أصفر »

لان عملية الخروج من الشرنقة ، وكسر قوقعة الجحود ، هيئات ان  
يتما الا عبر المعرفة ، والتصميم على فهم روح العصر ، وتمثله علما

## « الإنسان المشكلة »

فطاب الموت اليك  
فصرت طليقا  
وصرير الباب يهشّ علينا  
آدم  
من اطلقنا عبثا  
نتكاثر في بطن التربة مثنى مثنى ...  
وخلاصة أوراق الطين  
سقوط  
آدم  
الصفير هو الصفير  
فخل الارقام قطارا  
يبصق في وجه محطات الملاين  
آدم  
الانسان المشكلة  
الانسان المشكلة  
الانسان

محمود علي السعيد

حلب

خلافا .. غمر الاكوان

الانسان المشكلة  
الانسان المشكلة  
الانسان  
آدم من طير في جنبيك جناح النسل  
فطرت  
ورزقت من النطف البيض ... السود ...  
البيض ... السود ... رزقت  
وغزوت أقاليم الصمت الفطري  
فشيب الصمت عليك  
وتدنس وجه الاشياء البرية  
وفشى الموت  
وعلى أغصان الليل عصافير  
تنقش في صدر الصمت وساما  
آدم  
من أفرق في عينيك مسيح العصر  
فقلى الرجل حزنا  
من أنبت في أطرافك ريش البطش

وزاد في عنفوان الشاعر أكله من خبز شيطان العبقرية الفسد

ابي نواس الذي قال في الانسان ما لم يقله غيره فيه :

ومن هذا الايمان بالذات رصد الشاعر ريشته للانسان المبدع ،  
القادر على التغيير ، ينشده كما نشده سابقا أحد فلاسفة الافريق  
على ضوء مصباحه في رابعة النهار ، والذي ظلت عيناه تقعان على  
الشخص البشري ، دون أن يبلغ غايته ، وهيئات ما بين الصورة  
والماهية :

« أين الانسان

هاتي ورقا

هاتي قلم

كي أرسم هذا الانسان

رأس .. جسم .. عينان

أنف .. بطن .. أذنان

أما أفرح الانسان

أما أحزان الانسان

أما أبعاد الانسان

أولست معي

هذي أشياء .. لا ترسم

قد تفهم

أو لا تفهم ..

وظلت عملية البحث والنشيدان .. لم يياس الشاعر ، كما لم يمل  
الفيلسوف .. ورغم ان من لقيهم كالأحجار ، فما برحت الرغبة  
الملحاح تحفزه ، تدفقه بعدا في المدى ، واستنكها في القور ، باناة  
الحليم ، وصبر الحكيم .. ومنذ كان الانسان ، على صفر جرمه  
- كما قال أبو نواس - كان أضخم من في الكون :

« لكن الشاعر لم يفضب

لم يتعب

هو يؤمن بالانسان

أرسل صوتا آخر دفق حنان

الاقا .. كهياء الضدان

ذلك لان من يحمل في أعماقه قضية ، ويؤمن برسالة ، هيئات  
ان يقعه القنوط ، والايمان أبدا تمرد وتفجير طاقات .. لا يقف في  
حدود ما كان ، وانما يعمل لما يجب ان يكون .. ومتى وقف الإبداع  
الشعري في حدود التعبير عن الآنية فلسفيا وزمانيا ؟ .. والسمة  
المميزة له اختراق جدران الحاضر باعتماد قاعدة المعرفة ذاتها  
وموضوعيا ، لتمثل وجه المستقبل :

« وانهمر الضوء

حماما من ألق غامر

شلالا من فرحة .

وارتسمت صور المستقبل لوحه

يشمخ فيها الانسان

ما أروع أن يرسم

انسان فنان

صور المستقبل

ما أجمل أن يثق الانسان

بالمستقبل .

وكانت بعد ان وفقت على آخر قافية من هذا الديوان الصغير  
- الكبير - وقد تجاوزت الكثير من صوره الإبداعية ولا سيما أسطورة  
الحب فيه ، رحت أسترجع صورة غوركي عندما كنت أتابعه في  
روايته الضخمة « أين الله » ... ذلك العبقرى الجبار الذي كم طال  
نشيدانه لمثله الأعلى حتى رآه أخيرا مجسدا حيا عملاقا بجهـوع  
الجماهير ... بالشعب الذي اجترح المعجزة فأقام الانسان الكسيع  
من سريره على هدير صوت ارادته ... وقديما وسم المتنبى شعـره  
بهذه الصفة :

فسار به من لا يسير مشمرا وغنى به من لا يقني مفردا

وتلك وحدهما صفة الكلمة الخالدة التي تلمس جدران الكون ...

وتقف مع شمس الحقيقة وجها لوجه .

بيروت

فدييم مرعشماي